الكوكائين (١)

—«×»—

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية ومضارها الجسمية والنفسية والاجتماعية . وقد يظن بان الاسكار خاص بالمشروبات الغولية فقط ، فاذا قيل فلان سكران يفهم من ذلك انه ثمل من تعاطي الخمرة اوالغول ، بينما السكر حالة نفسية مرضية ارادية تنشأ عن مؤثرات وعوامل كثيرة من جملتها المشروبات الغولية . ولعل السبب في تخصيص السكر عرفا بالخمر والغول ناشيء عن كون الخمر أقدم العناصر المسكرة التي عرفها الانسان وسكر بها ، ولان العناصر الاخرى حديثة العهد بالاستعمال بالنسبة اليها ، فمن الخطإ والحالة هذه تخصيص السكر بالخمر والغول لا سيما وان الخمر في اللغة ما خامر العقل ، وفي الحديث كل مسكر خمر . وان العلة التي بها عدت الخمر مسكراً وهي الاسكار قائمة بعينها في غيرها من المواد الكيماوية والنباتية ، فسبيل هذه المواد والحالة هذه سبيل الخمر في الحكم في الدليل الواضح والقياس الصحيح .

وقد اهتدى الانسان بسائق المصادفة قديماً وبفضل العلم حديثاً الى مواد كثيرة مسكرة لاتختلف من حيث تأثيرها على العقل عن الغول . وولع بها وتغنى بمدحها . اهمها الأفيون وعناصره والقنب او الحشيش والكوكايين الذي هو غرض هذه المحاضرة ونبدأ بدرسه لصلته بالغول من حيث المصدر والعدوى فأقول :

« الكوكا »

في اميركا الجنوبية (في البيرو) مملكة الذهب والفضة الغنية ، في تلك الجبال

(١) محاضرة للاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ حزيران سنة ١٩٣١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشاهقة المطلة على البحر الهادي ، ينبت شجر صغير يدعى الكوكا ذو أوراق خضراء قاتمة اللون رقيقة متينة بيضية الشكل ذات تعرّق خاص ورائحة عطرية خفيفة وطعم مرّ ، وكأن الطبيعة التي حرمت سكان تلك الاصقاع الاصليين سعادة الحضارة والمدنية فباتوا في ظلمات من الجهل قبائل متوحشة يغزو بعضهم بعضاً عرضة للقرّ والحرّ والعطش والجوع ومشاق الغزو والحروب المستمرة ، كأن الطبيعة التي قضت عليهم بهذا الحرمان المؤلم لم تشأ الا ان تخفف من آلامهم فأودعت ورق تلك الشجرة المباركة شجرة الكوكا ، والكوكا في لغتهم معناها الشجرة خاصة من شأنها اذا مضغ الورق ان تبطل حس العطش والجوع والتعب مدة طويلة مما حمل الانكاسيين وهم سكان بيرو الاصليين على الاعتقاد بان هذه الخاصة منحة أُنزلت عليهم من السماء ، وان شجرة الكوكا مقدسة مباركة طيبة تجب حرمتها ورعايتها فجعلوا زهرتها رمزاً تتحلى به تروس أُسرتهم المالكة وورقها لازماً من لوازم حياتهم يصطحبونه في اقامتهم ورحلاتهم كما نلازم علبة الدخان جيب المدخنين في العصر الحاضر . فيضعونه في جراب من الجلد يسمونه الشوسبا يعلقونه على جوانبهم . اما المضغة فهي معجون من رماد الكوكا ومسحوق بعض الأصداف يقيمونه في قرعة مجوفة جافة تسمى بالبوبورو وهي مباركة في عرفهم يعلقونها على جوانبهم مع الشوسبا ، وبالنظر لما للخيل من الاعتزاز الشديد عند الانكاسيين لاحتياجهم اليها في الاسفار والحروب فهم لا يضنون عليها بورق الكوكا فيشد في عضدها و يساعدها على تحمل المشاق كما يساعد الرجال على تحمل اعباء المعارك الطويلة وشدائدها .

هكذا كان حال الانسان الهمجي مع الكوكا في ذلك العهد الغابر ، اما بعد الفتح والاستيلاء فقد اخذ ذلك العنصر الاصلي بالانقراض بسعي العنصر المدني الفاتح الذي حل محله فجعل من تلك الجبال الخاوية مناجم تنبت الذهب والفضة ومد يده الى الكوكا فاستهوته خمرتها وأعجبته نشوتها فعني بزراعتها وصناعتها فكانت له منها ثروة عظمى وتجارة لا تبور .

بيد ان هذه الشجرة المباركة التي كانت عوناً للانسان الانكامي على تحمل المشاق والشدائد وآلام الجوع والعطش لم تلبث ان انقلبت في عهد الانسان المدني الفاتح خمرة تلعب بالعقول وتعبث بالاجسام تستهوي النفوس وتعيث بالابدان تثير الشهوة وتخمد النخوة تشعشع كالبرق في الظلمات فتبصرها العيون الضالة فتسير اليها ، وتلمع كالسراب في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الفلوات فتلحظها القلوب الظمآنة فتتهافت عليها فتخطف تلك بنورها وتحرق هذه بنارها ، فكأنها وقد أغضبها عبث الفاتح بحرمتها لم تشأ الا ان تثأر لمقدسها . فياله من ثأر تبدد فيه العقول وتفلج الأعضاء وتسلب فيه الأموال وتثلم الأعراض . ثأر مؤلم تضاهي فيه ضحايا الكوكايين قتلى الفاتح من الانكاسيين بل هو أشد وانكى . وها نحن نقص عليكم كلمة العلم الحاضر في الكوكا والكوكايين وفي هذه الكلمة ذكرى وعبرة .

« تأثير الكوكا الفسيولوجي »

ظن الاطباء بادئ بدء ان في ورق الكوكا مادة غذائية وذلك لابطالها حس العطش والجوع والتعب فأخذوا يستعملونها في الحالات المرضية التي تترافق بالضعف والوهن وسوء التغذية ، وصنفوها مع الادوية المقوية بصفونها بصورة خلاصة او صبغ او ممزوجة مع الخمر او الغول ، غير ان هذه العقيدة لم تلبث حتى ظهر فسادها فقد تبين ان منع الكوكا الجوع والعطش ليس ناشئاً عن كونها مغذية بل لانها مخدرة مبطلة للحس ، وذلك لان التجارب أثبتت ان الحيوانات التي تمنع من المواد المغذية وتعطى الكوكا فقط تموت في الزمن نفسه الذي تهلك فيه الحيوانات التي لا تعطى الكوكا ، وتبين ايضاً ان النشاط العضلي الذي يشعر به المرء عند مضغ ورق الكوكا ليس منبعثاً عن حرارة غذائية بل عن خاصة في الكوكا هي ان القليل منها يحدث اثارة في الجهاز العصبي المركزي وفي العضلات فيستر هذا النشاط الصنعي التعب مدة ، ويفسح للمرء مجالاً الى اتمام العمل الشاق دون ان يشعر بالتعب ولكن هذا التعب لابد له من الوقوع عقب انتهاء تأثير الكوكا في الجسم .

« الكوكايين »

تاريخ اكتشافه — وقد ظل ورق الكوكا مستعملاً في الطب كعلاج منبه بالكيفيات الآنفة الذكر حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث توصل الكيماوي الالماني (Niemann) نيمان سنة ١٨٥٩ الى اكتشاف العامل المؤثر الموجود في ورق الكوكا وسماه الكوكايين .

وقد كان لهذا الاكتشاف الخطير أهمية كبرى في عالم الطب لا سيما في الجراحة وأمراض العيون والحلق والحنجرة ، لما سهل لها من الأعمال التي كانت ممتنعة عليها قبل هذا الاكتشاف الذي بقيت فيه ضالة منشودة منذ العصور القديمة وهي التخدير الموضعي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فتهافت عليه الاطباء والجراحون يطرو ـ منافعه و يستنكرون مضاره يصفونه لمرضاهم باسراف يسكنون به آلامهم ويبطلون بفعله حواسهم ولم يكن ليخطر لاحدهم على بال بان هذا البلسم النافع الكريم سيكون بعد حين لصاً خائناً يتسرب الى عقل لامسه فيسثرقه والى جسمه فيضنيه والى أخلاقه فيفسدها ·

صفاته الطبيعية — ماهوالكوكايين ؟ الكوكايين مسحوق ناعم أبيض قليل الذوبان في الماء ولذلك لايستعمل في حالته الطبيعية ، بل يستعمل بصورة كلورمائية الكوكايين ، وهو مسحوق ابيض مؤلف من بلورات لطيفة شديدة الذوبان في الماء ، وللكوكايين عملان مختلفان في الجسم احدهما موضعي والآخر عمومي ·

تأثيره الموضعي — اما العمل الموضعي فان طلي البشرة ولا سيما الأغشية المخاطية بالكوكايين يحدث تخديراً في نهايات الاعصاب السطحية فيبطل فيها الحس · ويقل ورود الدم اليها ، ويكون هذا الفعل شديداً بنسبة رقة الغشاء ووفرة عصبه ·

العمل العمومي — ويتعدى الكوكايين هذا الحد من التأثير فيتسرب الى العصب الودي فيثيره فتتوسع الحدقة ، والى البصلة الدماغية حيث نقطة الحياة فيهدد صاحبه بالسكتة الصدرية والقلبية ، والى القشرة الدماغية حيث مراكز العقل وادراك الحس والحركات الارادية فيسممها فتعتري مدمنه الأوهام والتخيلات والعته والجنون ، وينساب الى موارد الأعصاب وألياف العضلات فيحدث فيها عندما تكون الكمية الممتصة قليلة نشاطاً وخفة فيتوقد الذهن وتتنبه الحواس وتسكن الآلام وتنشط العضلات ، و يشعر المرء بحاجة للحركة وبمقدرة على العمل ، وتشتد الانعكاسات الوترية وتزداد ضربات القلب وتنقبض الأوعية ويرتفع الضغط الدموي وتتصاعد الحرارة · اما اذا كانت الكمية كبيرة فان هذا النشاط يشتد لدرجة الاختلاج ثم لايلبث ان يعقبه الخدر والفالج وضياع الحس العمومي فتضطرب ضربات القلب وتتقطع وتفقد نظامها ، ويعسر التنفس و يضعف وتزرق الاطراف ثم ينقطع النفس و يقف القلب فيقع الموت ·

ومن هذه الكلمة الفسيولوجية يتبين لنا ان للكوكايين خاصتين مختلفتين : احداهما موضعية وهي تخدير نهايات الاعصاب السطحية وابطال الحس · والثانية دماغية عضلية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عمومية وهي إثارة الدماغ في باديء الامر ثم التخدير العمومي .

استعماله في الطب — و بالنظر لما لهاتين الخاصتين من الأهمية الكبرى في الجراحة فقد لقي الكوكايين منذ اكتشافه رواجاً عظيماً في الطب الخارجي فاستعمل باديء بدء مخدراً عاماً غير انه لم يلبث طويلاً حتى أعرض عنه الجراحون لامرين : احدهما حصول الاحتداد الشديد قبل دور الخدر . وثانيهما كون المقدار اللازم لابطال الحس العضلي العام يقرب من المقدار القتال . واكتفوا باستعماله مخدراً موضعياً في العمليات الجراحية التي لا تتطلب ابطال الحس العام .

التسمم بالكوكايين — إن الكوكايين سم قاتل يبدأ فعله بالسكر وبالتخيلات البصرية والسمعية وبهذيان شديد العربدة وبالدوار ثم الرعشة والاختلاج الذي يعقبه هبوط القوى والخدر العمومي ثم الموت . وقد يؤثر الكوكايين فوراً على بصلة الدماغ حيث مراكز الحياة فيحدث السكتة القلبية فيصفر الوجه ويكمد ويغشاه العرق البارد ثم يقف القلب و يقع الموت .

ويختلف المقدار الباعث للموت حسب كيفية اخذ الكوكايين و كميته وبنية الانسان فقد ذكر ان ولداً عمره ٤ سنوات أعطي فتيلة فيها ٠٫٢٥ من الكوكايين فمات وان مثل هذا الحادث وقع عند انسان تناول ٠٫٣٠ من الكوكايين وعند آخر عقب تخدير سن بحقن ٠٫٠٥ من الكوكايين في اللثة مما صرف الاطباء عن استعماله الى غيره من المخدرات الموضعية التي لها مالكوكايين من الفعل بينا أضرارها في الجسم أخف بكثير .

كيفية استعماله — اما كيفية استعمال الكوكايين في الطب الخارجي فمختلفة فهو يستعمل طلياً ونقطيراً وحقناً تحت الجلد .

اما طريقة الطلي فتستعمل في بعض أمراض الجلد وفي أمراض الاذن والأنف والحنجرة والفم . واما طريقة النقطير فيلجأ اليها في أمراض العين وعملياتها الجراحية .

طريقة حقنه تحت الجلد — هذا وبما ان البشرة الصحيحة السالمة تمنع الكوكايين اذا طليت به من التسرب لما تحتها من النسج فيظل حساساً — اضطر الجراحون لابطال الحس في الطبقات الجلدية العميقة الى إدخال الكوكايين اليها بطريقة الحقن تحت الجلد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

استعماله في الطب الداخلي — اما استعمال الكوكايين في الطب الداخلي فيرجع تاريخه الى زمن اكتشافه ، فقد اخذ الاطباء في أواخر القرن الماضي يصفون الكوكايين لمرضاهم في جل الآفات المؤلمة وحالات الخمول العصبي جاهلين مايخبئه هذا الافعى من السم الناقع تحت طيات ملامسه الناعمة وما هي الا سنون قليلة حتى ظهر للاطباء والجراحين خطر استعمال الكوكايين ومضاره العقلية فأعرضوا عنه لان كثيراً من المرضى الذين كان يوصف لهم الكوكايين بمقادير قليلة لتسكين آلامهم اخذوا يعتادون استعماله فيكررون تناوله مرات متعددة في اليوم حتى اذا أدمنوه تمكن من نفوسهم وتعذر عليهم تركه وأصبح من لوازم حياتهم فتظهر عليهم ثمة علائم التسمم المزمن اوالكوكائينية التي انتشرت خاصة عام ١٨٧٨ عندما قام (Bentley) بمداواة المورفينية بالكوكايين وراجت طريقته هذه لا سيما في انكلترا واميركا ولكنها لم تلبث طويلاً حتى ظهر فسادها فأهملت بتاتاً وذلك لان المبتلين بالمورفين الذين عولجوا بالكوكايين الفوا استعمال هذا السم ايضاً دون ان يتركوا المورفين فأصيبوا بالدائين معاً .

الكوكائينية — واول من وصف التسمم الكوكائيني المزمن اوالكوكائينية (Shaw) طبيب مستشفى سان لويس في لويزيان من الممالك المتحدة سنة ١٨٥٩ ثم في سنة ١٨٨٦ نشر (Erlenmeyer) بحثاً ممتعاً جمع فيه كثيراً من المشاهدات والاسانيد العلمية في الاختلالات النفسية الناتجة عن الكوكايين وفي سنة ١٨٨٩ عرض مانيان ومعاونه سوري على جمعية العلوم الحيوية بياناً مسهباً استقصيا فيه وصف جميع الاعراض النفسية التي تنتج عن استعمال الكوكايين المزمن مؤيدين آراءهما بالمشاهدات الكثيرة والتجارب العلمية الصادقة فأقر المجمع هذا البيان وعده حقيقة علمية لاتقبل الريب ولا الجدل .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا ان استعمال الكوكايين حتى أواخر القرن التاسع عشر كان منحصراً بالطب والصيدلة وان التسمم الكوكايني المزمن كان فردياً عرضياً ولم يكن اجتماعياً ارادياً . وان التجارب والمشاهدات اطلعت الاطباء على ما كانوا يجهلونه من فعل الكوكايين وعلى مضاره النفسية فأخذوا يحددون منطقة استعماله و يحذرون مرضاهم اعتياده . ولكن ما الحيلة وقد سبق السيف العذل . فان النفوس التي كانت تستعمل الكوكايين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لاخماد آلامها الثائرة اخذت تلجأ اليه لاثارة شهواتها وغرائزها الخامدة فخرج الكوكايين من الصيدلية الى الحانة ومن مخدر الى مسكر ومن يد الاطباء الى تجار النفوس والاعراض ، وما بزغت شمس سنة ١٩١٤ على العالم الا والكوكايين يظلل بسلطانه عواصم الامم المتمدنة ويعلن على البشرية حرباً ضروساً لو انها استمرت لأربت ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الكبرى بكثير .

قال الدكتور (Maier) ماير : أستاذ سريريات الطب النفسي في زوريخ في كتابه الكوكائينية ، المطبوع عام ١٩٢٦ ان التسمم المزمن بالكوكايين قد ازداد في السنين الاخيرة زيادة عظيمة ، فما من مملكة متمدنة الا وقد شملتها أضراره ، وقد شاهدت سويسرة هذا الوباء الاجتماعي يتأصل في تربتها في الحرب العالمية الاخيرة ويملأ بضحاياه دور الأمراض النفسية .

وقال كورتوا سوفيت وجيرو (Courtois - Suffit و R. Giroux) في وصفهما تجارة الكوكو في حانات مون مارتر في باريز ما نصه :

« في سنة ١٩١٤ يكفي المرء ان يدخل احدى هذه الحانات في الساعة المسماة ساعة المشبهات ليشاهد فريقاً من النساء المبتليات رواد هذه المواطن يضطربن ويتململن ثم يذهبن زمراً مؤلفة من اثنتين او ثلاثة الى المفاسيل حيث يتعاطين شم الكوكايين ولا يلبثن حتى يخرجن منها براقات الاعين ، على ان الشائع هو عدم التستر ، فكثيراً ماتكون العلبة المعمولة من الكرتون او من المعادن كالفضة او الذهب معروضة على (الطاولة) منضدة مقاهي الرقص وعليها مغرفتها الصغيرة التي تكال بها كمية الشمة .

اما بين الساعة الخامسة والتاسعة مساء فان تجارة الكوكو تروج في الغالب في مقاهي الطرب وفي المطاعم . وتحتدم سوق هذه التجارة بعد الساعة الواحدة من نصف الليل لاسيما في الرابعة والخامسة صباحاً في المؤسسات الليلية ، فهي ساعات عرض السم بالمزاد العلني ساعات بيعه بابخس الأثمان وقد استمرت هذه الحالة المؤلمة حتى صدور قانون سنة ١٩١٦ فاستترت ثمة تجارة الكوكايين ولكنها لم تفقد تأثيرها في الخفاء فانه يوجد محلات ملاقاة خاصة يجتمع فيها مدمنو الكوكايين مع تجاره لتناول هذا السم الزعاف .

اما في البلاد العربية فقد شاع استعمال الكوكايين في بدء الحرب العامة في مصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بسرعة غريبة حتى بات خطره يهـدد أبنـاء ذاك القطر الشقيق باشد الآفات واسوإ العواقب ، وانتقلت العدوى الى سورية بعد الحرب العامة فدخلهـا الكوكايين فاتحاً مع جيوش الاحتلال محمولاً على أنامل عشاقه الغيد الحسان من الراقصات الغربيات يغرين به روادهن حتى ان منهن من جعلته مهراً لوصالهن ونجوى يتقرب به اليهن ، ولا غرو فهو المحبوب الممنوع عزيز مطلبه ، صعب منـاله ، غال وصاله ، محرق هجره ، مميت منعه . ولولا صرامة في القانون وقساوة في تطبيقه وتوقف دخول الراقصات الفرنسيات البلاد السورية وضعف الوراثة السكيرة عند السوريين وفداحة ثمن الكوكايين لانتشر داؤه فيهم انتشاراً مريعاً لا تحمد عقباه .

أسباب انتشاره — اما الاسباب الداعية لانتشار الكوكايين فكثيرة أهمها :

(اولاً) الاستعمال الطبي — وهذا بطل في أوائل القرن الحاضر ولم يعد له من قيمة فعلية .

(ثانياً) العدوى الاخلاقية — وتفعل هذه في الغالب في الفريق المتخنث محب الحشمة (اي الموضة) والظهور والتقليد الفاسد وفي ذوي السذاجة العقلية التي تدفع صاحبها الى تجربة كل ماهو رائج ولذلك نشاهد الكوكائينية منتشرة في الغالب في الغرب عند النساء ، وبعكس ذلك في الشرق لما في نفس الضعيف من حب التقليد والسلوك مسلك القوى .

(ثالثاً) الوراثة — الوراثة أيها السادة أقوى العوامل على انتشار السموم النفسية في الامم وقد أوضحنا هذه الحقيقة في المحاضرة السابقة عندما شاهدنا ابن السكير يولد مستعداً لتعاطي المسكر كما ان ابن المدخن يولد مستعداً للتدخين . وقد شاهدنا ان السوريين ضعيفو الاستعداد لادمان السموم النفسية لضعف هذه الوراثة فيهم وذلك لانهم حديثو العهد بالانغماس بالملذات وشرب المسكرات ، لاسيما وان أمهاتهم على الاطلاق نقيات بفضل العامل الديني والتربية الصالحة الموروثة . ومن المؤلم ان فريقاً من الشابات اخذن يختلطن بالنساء الغربيات في أعيادهن وأفراحهن فيقدمن اليهن شيئاً من المشروبات السكرية الروحية المسماة بالمنعشة فيأخذنه مجاملة كي لا يرمين بالتعصب او بعبارة أوضح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كي يظهرن بمظهر المجددات على زعمهن جاهلات بان في عملهن هذا حطة أخلاقية واساءة لتقاليدهن . ودلالة على ضعف الجرأة الادبية فيهن ، لان بوسعهن رفض هذه الكأس باسم الصحة والعلم اذا لم يكن باسم العادة والدين فيبررهن بعملهن هذا على علم صحيح وارادة حرة يكتسبن بها إعجاب الغربية وحرمتها .

(رابعاً) ومن العوامل على انتشار الكوكايين الاضطراب الروحي وعدم التوازن النفسي وفساد الميول والغرائز . سيفي الناس أيها السادة فريق شاذ بميوله وشهواته لا يلذ له العيش ضمن الأوضاع الاجتماعية فيلجأ الى الملذات المرضية بواسطة السموم النفسية ليسكن بفعلها شهواته فيكون بعمله هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار .

(خامساً) الحماقة وضعف الارادة وقابلية التلقين — وذلك لان صاحبها قريب المأخذ سريع الاغواء يستغله تجار الاعراض والمواد الممنوعة لمنافعهم فيمتدحون اليه بضاعتهم حتى اذا ذاق طعمها وقع في شركها وظل فيه الى ان يهلك ، ولهذا قيل : الادب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكراً .

(سادساً) إثارة الحس الشهواني — وتلك من أعظم اسباب انتشار الكوكايين لاسيما في دور الفحش والبغاء . قال الاستاذ برواردل : (يدخل المرء الكوكائينية من باب الملذات الشهوانية) غير ان هذه الاثارة موقوتة لا تطول كثيراً حتى يعقبها الاسترخاء والعقم .

(سابعاً) ومن الاسباب المروجة استعمال الكوكايين كيفية اخذه وسهولة تناوله واستصحابه ، فهو لا يتطلب زجاجة ولا قدحاً ولا يشكل حجماً ولا وزناً ولا يحتاج صاحبه لحقنة يعقمها وابرة يوخز بها جلده ، بل جل مايتطلبه علبة صغيرة لاتجمها الجيب ولا تستثقلها وقد يستغني عن العلبة ويعتاض عنها بقصاصة ورق صغيرة يصر بها هذا المسكر العجيب الذي لايدخل الجسم من باب الذوق بل بواسطة الشم والحقن ، فيستعطه المرء على مرأى من الناس دون ان يستنكر احد فعلته وما هي الا دقائق معدودات حتى يشعر بدبيبه يدب الى نفسه فيطربها والى موضع الاسرار فيهتكها .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« السكر الكوكايني »

تأثيره لاول مرة — ويختلف فعل الكوكايين عند الناس حسب مزاجهم ودرجة إدمانهم إياه والكمية الممتصة ، فيشعر المرء الحديث العهد به عند تسعطه الكوكايين بخدر وبفقد الحس التام في غشاء أنفه وببرودة في الوجه لاسيما حول الانف والفم يصحبها شحوب اللون لتقبض الأوعية وفاقة الدم ، ولذلك تعد السعطة الاولى مزعجة غير لذيذة ، وتترافق أحياناً بالغثيان وهبوط القوى وخفقان القلب والأرق .

النشوة — اما مدمنو الكوكايين فانهم يشعرون غب تناول هذا السم ببضع دقائق بانشراح في الصدر وبنشاط عظيم في الجسم والذهن وبمقدرة على العمل غير منتظرة وبخفة في الروح والحركة غير مألوفة ، وبسرور تتلاشى فيه الآلام والأحزان وسعادة ينسى صاحبها عندها البؤس والشقاء ، وتسمى هذه الحالة النشوة الكوكائينية ، وتحصل عندما تكون الكمية الممتصة قليلة .

السكر الكوكائيني — اما عند تزايدها فيحدث السكر الكوكائيني وهو يتألف من عناصر او حوادث نفسية مختلفة تشتد وتضعف حسب تكرر تناول الكوكايين والكمية والكيفية ، وذلك لان تناول الكوكايين سعوطاً أخف من أخذه حقناً تحت الجلد ، وتسعطه بكميات صغيرة غير متكررة أخف عملاً من امتصاصه بكميات كبيرة ، واهم هذه الاعراض النفسية ، حدة الذهن ، ونشاط الحركة ، وخدر الحس بالالم ، وفلج القوة المراقبة والناقدة الذاتية ، وإثارة الشعور الغامض ، وفساد الافعال العقلية .

حدة الذهن — وتتجلى حدة الذهن بتوقد الذاكرة والمخيلة وسرعة تداعي الافكار وتواردها على الخاطر وسهولة التكلم وكثرته والضحك والقهقهة والمزاح ورفع الصوت والخطابة .

نشاط الحركة — وتترافق حدة الذهن هذه بحس دافع للحركة والعمل فلا يستطيع سكير الكوكايين الاستقرار والسكون فتراه ذاهباً آتياً كثير التلفت والاشارات سريع الحركات خفيفها يبتكر الاعمال ويباشرها ويكثر الزيارات والدعوات . ويتجلى هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النشاط خاصة في الحس الشهواني فانه يزداد باديء بدء زيادة شديدة ولكنه لا يلبث ان يسترخي ، ولهذا نرى مدمني الكوكايين جميعهم يشكون العنة .

خدر الحس بالألم — و بالنظر لبطلان الحس بالالم تراه لا يشعر بالتعب ولا يعتريه ملل ويتنامى جميع أحزانه ومكدراته .

شلل القوة المراقبة والناقدة الذاتية — ويتطرق بطلان الحس هذا الى القوة الناقدة والمراقبة فيفلجها فيثور الشعور النفساني الغامض وتنطلق الأهواء الكامنة والشهوات المحصورة فيسعى لتحقيقها .

تبدل طباع المرء واخلاقه — وتتبدل طباع المرء واخلاقه فيصبح صعب المراس سريع الغضب شرس الخلق سهل الاندفاع كثير المفاجآت والتعدي ، لا يحتمل الاذى يحنق لاقل سبب ويقترف الأجرام لدى ادنى حادث .

فساد الافعال العقلية — وقد يقف السكر او التسمم الكوكايني عند هذا الحد من الفعل اذا لم يكرر المرء تناوله اما اذا تكررت السعطات ولا سيما اذا كان تناوله بواسطة الحقن الجلدية ، فتظهر ثمة أعراض فساد الافعال العقلية فيختلط الذهن و يتغير الادراك والشعور وتستولي على السكير الأوهام والتخيلات لتسمم الحواس فيبصر الاشياء على غير ما هي عليه فيرى العصا ثعباناً والثياب المعلقة شياطين او لصوصاً والاشخاص مشوهي الاشكال ، ويسمع صريراً ودوياً لاوجود لها في الخارج ، وتارة يخيل اليه انه في جوّ من الغبار لامع الذرات ، او وسط سراب نحل يتطاير أمام عينيه الى غير ذلك من الأوهام البصرية والسمعية المزعجة التي تشاهد في سائر حالات السكر المزمن على اختلاف مسبباته .

التخيلات الحسية الجسدية — اما العرض الوهمي الخاص بالكوكائينية فهي التخيلات الحسية الجلدية فان مدمن الكوكايين يشعر بحشرات تدب وتركض وتقفز تحت جلد جسده فتخرشه كالبق والبراغيث والقمل والجرب والذباب والعراتيل والديدان وأحياناً هي بلورات الكوكايين نفسها تهتز في جلده فيعمل على مطاردتها ونزعها بالحك وسحج الجلد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تشترك الحواس بضلالها فيرى الكوكائيني الحشرات تسير على جسده و يشعر بانهـا تلدغه وتتغلغل في الجلد فينتزعها منه و يتناولها بيده و يضعها في وعاء فيه ماء بجانبه ، او انه يلقيها على الارض ويسحقها بظفره . ومنهم من يتناول أبرة و يأخذ باستقراء هذه الحشرات مابين الجلد والعضلات ليخرجها ، فيدمي بعمله هذا جسده و يعرضه للالتهابات والآفات الوبيلة .

ثقب حاجز الأنف — وتنشأ هذه الأوهام الجلدية عن تأثير الكوكايين في الاعصاب السطحية بتخديرها وعن تقبض الاوعية الشعرية فيتوقف ورود الدم الى الجلد فيتمل وتهبط حرارته ويتوقف فعل التغذية فيه فينفسخ واكثر ما يشاهد تلف الجلد في حاجز الانف فانه ينثقب عند مدمني الكوكايين .

الهذيان الكوكايني — وقد لا ينحصر هذا الوهم والتخيل في الحواس فقط بل يتطرق الى الفكر ايضاً فيتصور الكوكايني اموراً لا صحة لها ويدخل عليه الغرور والعجب والغيرة والشك بالناس فيعمل على الانتقام ويقترف أفظع الاجرام وينتهي هذا الدور بالخبل والخدر العمومي والسبات .

دور الضجر — ويستمر السكر الكوكايني المعتدل ثلاث ساعات والى اربع ، ثم يأخذ المرء بالافاقة فيشعر بهبوط في قواه وثقل مزعج في حركاته وكسل شديد في اعضائه وخمول عظيم في عقله مع خبل ووهن في اعصابه وبضيق في صدره مع انقباض وكدورة في المزاج . وتعود اليه آلامه السابقة مضاعفة فهو لا يقوى على المشي لان ساقيه لا تحملانه ولا يقدر على الاضطجاع لانه يزيد في سآمته وكآبته ، وعندما يعيل صبره وتخور عزيمته ولا يجد له ملجأ يلجأ اليه للخروج من هذا الضيق المخنق يتجه الى الكوكايين مرغماً وهو يعلم بانه بيت الداء ومصدر البلاء ولكن ما الحيلة وهو وحده المسكن لهذه الآلام فيتناوله كرهاً لا ليستعيد به سعادته الاولى بل ليخدر به آلاماً هو مسببها ، وهكذا دواليك دور متسلسل من ضجر يرافقه خمول وضجر ، يداوى بسم يصحبه سكر وخدر وسير ذلك لعمري منتهى البؤس وأقسى درجات الشقاء .

هذا اذا كان المرء ذا سعة وقدرة على الحصول على الكوكايين اما اذا كان معوزاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهنالك الطامة الكبرى فهو لا يستنكف عن بذل ماء وجهه والتدني لافظع الرذائل وارتكاب كل محرم الى ان يظفر بضالته وقد يستحوذ عليه الضجر واليأس فيعمد الى الانتحار .

الكوكائينية المزمنة — وقد لايمضي زمن طويل على الكوكايني المدمن حتى تضمحل قواه وتتلاشى مواهبه وعواطفه ويقل فعل التغذية في الجسم فيهزل ويكمد لونه وينقص وزنه و يعسر هضمه الطعام و يتعاقب عنده الامساك والاسهال وتغور عيناه و ينتابه الارق ويصبح كالجماد لايكترث ولا يبالي بشيء ، ضعيف العقل متدرجاً نحو العته والجنون .

ذلك مصير الكوكائينية ايها السادة وهي كما ترون : شعلة من نور الحياة تبهج الابصار تبزغ وهلة في حلك الدماغ فتلهب بحرارتها كل مافيه من قوى شريفة في آن واحد ، حتى اذا نضب ذلك المعين الذي هو ذخيرة العمر في حين من الزمن قصير تخمد تلك الشعلة ، و يظلم ذلك النور ، ويصبح ذلك الهيكل الانساني كالسراج الذي نضب زيته حيواناً وحشياً يقترف أنواع الاذى ، مصيره السجن حيناً ثم ملاجيء المرضى ثم دور المجانين .

قال كورتوا سوفي وجيرو « ان أضرار الكوكايين هائلة ، فان الاسراف باستعماله خلافاً لسائر السموم المسكرة يقود رويداً رويداً الى الاستحالة الجسمية والهذيان والجنون والتلاشي ، ويهيء الجسم لقبول السل » .

وقال لوجرن « ان الوباء الكوكايني على الرغم من كونه محدوداً لذو شأن بين العوامل في انحطاط الجماعات ، وذلك لان المشاهدات اطلعتنا على ان نسل الكوكايني المدمن يأتي مصاباً بالبلاهة — على ان ذلك نادر — لان إدمان الكوكايين يحدث عند صاحبه العنة فيصاب بالعقم وما العقم الا انتحار الجنس » .

الوقاية — وما كادت المشاهدات الطبية تفضح هذه النتائج المؤلمة الناشئة من إدمان الكوكايين حتى اضطربت لهولها فرائص أساتذة العلم في أنحاء العالم المتمدن فأخذوا يصيحون بأعلى أصواتهم ومن فوق منابر الإرشاد والتدريس على ألسنة الكتب والجرائد تارة ، وبأفواه الخطباء والوعاظ والنواب والمجامع العلمية والمعلمين تارة أخرى ينادون بحكوماتهم واكرم به من نداء : الكوكايين هو الخطر الاجتماعي المداهم فحاربوه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد لبت حكومات العالم هذا النداء ولاسيما فرنسة التي شاهدت هذا الوباء ينتشر في عاصمتها انتشاراً مريعاً فأصدرت القوانين الصارمة بمنع دخول الكوكايين بلادها ، ففي ١٢ حزيران سنة ١٩١٦ سنت الحكومة الفرنسية قانون منع المخدرات ووضعته موضع التنفيذ في الحال وهو يقضي بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين وبدفع جزاء نقدي يتراوح مابين مائة الفرنك والالف منه على كل من يتناول الكوكايين او يحمله او يسهل ادخاله البلاد اواستعماله ، و يقضي بالجزاء نفسه على الاطباء والصيادلة الذين يساعدون المبتلى بالكوكايين على الحصول عليه او يصفونه لغير ضرورة طبية ، ولا كثر من سبعة ايام ، على ان يكتبوا بالحروف المقدار الموصوف و كيفية استعماله و يوقعون على الوصفة بوضوح ، وعلى الرغم من صرامة هذا القانون والقساوة التي استعملتها الحكومة الفرنسية في تطبيقه فان تجارة الكوكايين ظلت رائجة في الخفاء لسهوله امكان الحصول على هذا السم خارج البلاد وامكان ادخاله الحدود بالحيل وبيعه خفية باثمان باهظة تتناسب مع الصعوبات القائمة في وجه الحصول عليه ، وقد كان لهذا الغلاء الفاحش فائدة في توقيف انتشار الكوكايين أعظم من فائدة المراقبة نفسها .

قال لوغر (Logre) « ان كثيراً من التجار يسافرون الى سويسرا وهولاندة والمانيا و يعودون منها بعدد كبير من كيلو غرامات الكوكايين المصنوع في مانهايم او دارمستاد ، وان الالمان لغايات قد لاتكون تجارية محضة يروجون دخول هذا السم البلاد الفرنسية » .

وقال كورتوا سوفي وجيرو « ان الالمان استفادوا من الاحتلال الفرنسي البلجيكي بلاد الرين فأغرقوا الجنود المعسكرة فيها واستخدموهم واسطة لتهريب الكوكايين » وقد ساعدت الطيارات كثيراً على تهريب الكوكايين لعدم مراقبتها المكسية .

ويلجأ مهربو الكوكايين لاخفائه عن أعين المراقبة بطرق من الحيل والخديعة كثيرة يبدلونها كل يوم خشية افتضاحها ، فمنهم من يحمله في عصاه او داخل أعمدة الاسرة المجوفة ، او في كعب الحذاء ، او بطانة الثياب ، ومنهم من يجعل للوعاء طبقتين يخفيه بينهما . وذكر كورتوا سوفي وجيرو ان احد مبتوري الساق كان يخفيه في قناة ساقه الصنعية .

وعندما يدخل الكوكايين البلاد يباع فيها خلسة ضمن أوراق صغيرة تتضمن مقادير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

زهيدة ويكون الكوكايين فيها مغشوشاً باضافة بعض الاجسام الشبيهة به اليه كحامض البوريك اوالفناستين اوسكر الحليب . و يُطلع غواته بعضهم بعضاً على باعته ، وهم لعمري الطبقة المنحطة من الامة المجردة عن الشرف والوجدان . ولا غرو فعملهم هـذا عدا انه سلب وسرقة ، فهو جنـاية فظيعة فيهـا قتل النفوس وهتك الاعراض و يتم الاولاد واستحالة الامة .

فيا أيتها اليد الاثيمة التي تمد السم لاخيها لقتله به لقاء بعض دريهمات ، ارجعي الى ربكِ نادمة مستغفرة ، واعلمي ان تجارة السحت لا تثمر ، وان قتل النفوس التي حرم الله بالسيف او الكوكايين سواء .

ولما كانت طرق المنع الداخلي والمراقبة الشديدة لم تحل تماماً دون تسرب السم داخل المدن طلبت الحكومات الاوربية الى جمعية الامم وضع قانون دولي عام يقضي بتحديد كمية صنع الكوكايين في المعامل ومراقبتها مراقبة دولية شديدة .

على ان هذه التدابير وحدها لا تكفي لايقاف تيار المسكرات الجارف دون ان تدعم بارادة الفرد بواسطة التربية الصحية الصحيحة . قال كورتواسو في وجيرو « يجب على المدارس عند انتهاء الدروس الرسمية في السن التي تستيقظ فيها الشهوات وتسيطر الاهواء على النفوس ان يعلّم الشبان بطرق بسيطة واضحة أخطار بعض الأمراض وبعض المساوي » الى ان قالا « اذا كان الضغط من شأن القانون فان الوقاية وصيانة الاخلاق من واجبات التربية وحفظ الصحة » .

فهل للمعارف وهي المسيطرة على التربية في هذه البلاد ان تنهج هذا النهج الصالح في التعليم المدرسي فتسدي بعملها هذا خيراً الى الامة والى العنصر وتنال به رضا الله والناس .

وقد أدركت مديرية الصحة العامة السورية ما للدعاية الصحية من الشأن العظيم في وقاية الصحة والأخلاق فأقامت في معهدها الصحي معرضاً تمثل فيه الامراض الاجتماعية الناتجة عن الزهري والمسكرات بشكلها الحقيقي مصحوبة بالشروح الوافية والنصائح القويمة ، وسيفتح هذا المعرض أبوابه للشبيبة السورية في القريب العاجل .

اسعد الحكيم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net